

المحاضرة الرابعة: حركة الترجمة والنقل

كان لحركة الترجمة التي قام بها علماء ومختصون في الترجمة من مسلمين وغير مسلمين دور كبير في ازدهار الحياة العقلية، ومن ثم ظهور الفلسفة في طورها الحقيقي بعد التمهيد لها بنشأة علم الكلام والتصوف، وقد بدأت حركة الترجمة منذ عهد خالد بن يزيد الأموي الذي يعد أول من أتجه نحو الفلسفة اليونانية والأخذ منها بترجمتها، وتبعه بعد ذلك المسلمون، فأمر يزيد بترجمة بعض الأبحاث الطبيعية والكيميائية، ويرجع الفضل للخلفاء العباسيين في تنظيم حركة الترجمة وتشجيعها، فقام الخليفة المنصور بتوسيع دائرة الترجمة، وتبعه ابنائه وأحفاده وبلغ بها المأمون القمة، واستخدم العباسيون في الترجمة مترجمين من الفرس والهنود والصابئة والمسلمين والمسيحيين ممن كان لهم اتصال بالدراسات القديمة خاصة اليونانية.

مراحل الترجمة والنقل:

مرت الترجمة والنقل بمرحلتين هما:

أولاً: حركة النقل في العصر الأموي: تعد هذه المدة أو المرحلة التي استغرقت ما يقارب ستون عاماً المدة الأولى في تاريخ حركة الترجمة من السريانية إلى العربية، على أنه من المعروف أن العرب في هذه المدة عكفوا على شؤون الرئاسة والحكم، وفي الوقت نفسه كانت هناك حركتان ثقافيتان: الأولى تمثلت في تشجيع خالد بن يزيد للترجمة، والثانية: تمثلت في حركة التأليف في العلوم الإسلامية فاشتهر رجال من أمثال: الخليل بن احمد، وأبو الأسود الدؤلي... إلخ.

ثانياً: حركة النقل في العصر العباسي: تنقسم هذه المرحلة إلى ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: وهي تمتد من سنة: ١٣٦هـ إلى سنة: ١٩٨هـ؛ أي من خلافة المنصور إلى وفاة الرشيد، ومن أشهر المترجمين في هذه المدة (يوحنا البطريق ترجم كتاب اقليدس في الهندسة، وكتاب طيماوس لأفلاطون، وعبدالله بن المقفع ترجم كتب كليلة ودمنة من الفارسية إلى العربية، ويوحنا بن ماسويه ترجم الكتب الطبية القديمة مما عثر عليه في عمورية، وغيرها من بلاد الروم التي فتحها المسلمون، وكان رئيساً لبيت الحكمة ببغداد والذي أسس سنة: ٢١٥هـ).

ويلاحظ في هذه المرحلة أنه قد بُدئ فيها بنقل الكتب العلمية في الهندسة، والرياضة، والطب، والفلك، وكذلك نقلت فيها كتب المنطق.

المرحلة الثانية: في هذه المرحلة وهي تمثل عصر المأمون ازدهرت حركة الترجمة، وازداد النشاط العلمي، وترجمت الكتب في كل العلوم، وفي الأخلاق والفلسفة والنفسيات بعد أن كانت الترجمة قاصرة على كتب الكيمياء والطب، واشتهر من المترجمين في هذه المرحلة: (خنين بن اسحاق المولود سنة: ١٩٤هـ، يقال أنه ترجم نحو مائة كتاب في الطب وترجم في المنطق والطبيعة ... الخ، ويوحنا البطريق الملقب بالترجمان وقد أقامه المأمون على ترجمة الكتب الطبية والفلسفية، ومن المترجمين أيضاً عبد المسيح بن ناعمة الحمصي وقد ترجم كتاب: ((أثولوجيا ارسطاليس)) وأصلحه الكندي للمعتصم العباسي، والكتاب ليس لأرسطو بل هو من عمل مؤلف سرياني مجهول.

المرحلة الثالثة (٣٠٠هـ - ٣٥٠هـ):

ومن أشهر المترجمين في هذه المرحلة: (أبو بشر متى بن يونس، أو ابن يونان، انتهت إليه رئاسة المنطقيين، ترجم الكثير من الكتب لأرسطو وشراحه، كترجمة كتاب ((البرهان)) و((الكون)) و((الفساد)) بتفسير الاسكندر، ومن مترجمي هذه المرحلة أبو عثمان الدمشقي، وكان من المجيدين في النقل، إذ ترجم بعض كتب المنطق والهندسة، ومن المترجمين أيضاً أبو علي عيسى بن اسحاق بن زرعة أحد المتقدمين في علم المنطق وعلوم الفلسفة، اختص بنقل كتب أرسطو.

بواعث الترجمة:

رب سائل يسأل عن الأسباب الحقيقية التي دفعت بالمأمون إلى طلب نقل كتب الفلسفة بصفة خاصة رغم ما كان يشعر به عامة المسلمين من نفور ظاهر من الاشتغال بها وتناول قضاياها، إذ يشير المؤرخون إلى أسباب منها ما يلي:

١- تأثر المأمون بشخصية يحيى بن المبارك اليزيدي (ت: ٣٨٤هـ)، وكان هذا الرجل من شيوخ المعتزلة، ومن هنا نفهم كيف أقبل المأمون على كتب الفلسفة مشرباً بنزعة عقلية مبكرة، إذ كان منذ صباه متصلاً بشيوخ الاعتزال في عصره كأبو الهذيل العلاف وإبراهيم النظام.

٢- يقال إن الذي دفع المأمون إلى طلب كتب الحكمة ليس اعتناقه لمذهب الاعتزال؛ بل هو منام رآه شاهد فيه أرسطو، إذ رأى في المنام رجلاً أبيض اللون، مشرب الحمرة، واسع الجبهة، حسن السمائل، جالساً على سرير، فقال له المأمون: من أنت؟ قال: أنا أرسطو، قال المأمون: فسُرتت به وقلت: أيها الحكيم أسألك؟ قال أسأل، قلت: ما الحُسْنُ؟ قال: ما حَسَنَ عند العقل، قلت ثم ماذا؟

قال: ما حَسَنَ في الشرع، قلت ثم ماذا؟ قال: ما حَسَنَ عند الجمهور، قلت ثم ماذا؟ قال: ثم لا ثم، قلت: زدني، قال: عليك بالتوحيد، فكان هذا المنام من أوكد الأسباب في اخراج الكتب وترجمتها.

٣- قيل إن المسلمين بدأوا في نقل الكتب العلمية التي لا تمس الدين وعقائده، فلما أطمأنوا إلى أنها لا تخالف الدين ولا تجرحه؛ وقدرُوا فضل العلم اليوناني في تثقيفهم، مالوا إلى نقل ما بقي من علومهم فاتجهوا إلى نقل الإلهيات.

٤- من المعلوم أن العلم يسير جنباً إلى جنب مع الحضارة، فلما تحضر العرب؛ ونقلوا العلوم التي تساعدهم على زيادة العمران واستتباب الأمن اتجهوا إلى الفلسفة، وهي علم يحتاج إلى فراغ من الوقت واطمئنان على العيش حتى يزدهر، والعلوم العميقة تأتي في مرتبة متأخرة من علوم الظاهر، وعلى ذلك فلم يطلب العرب في بداية الأمر الفلسفة إلا بعد أن توسعوا في العلوم، فتنشوقوا للمتعة العقلية فأقبلوا على تراث اليونان.

نتائج حركة الترجمة والنقل وانعكاساتها:

أن العرب استفادوا كثيراً من نقل الثقافات الأجنبية إليهم، فقد عملت على ازكاء روح البحث والتأمل العقلي بينهم، فنشأة حركة فكرية جديدة متعددة النواحي دعتهم إلى التفكير في دينهم وفي كل ما يحيط بهم، وقد ظهرت من بوادر هذه الحركة نهضة لغوية كاملة، فتناول المسلمون اللغة بالدراسة العلمية المنهجية، ولا شك إن علم أصول الفقه وعلم الكلام قد استفاد كثيراً من المنطق أيضاً، وقد ظهرت هذه النزعة المنطقية في النحو والكلام في مدرسة البصرة، وهي أولى المدن الإسلامية التي ظهرت فيها بوادر التفكير الحر في العالم الإسلامي.